المحاضرة الثانية: اختيار موضوع البحث وشروطه والاعتبارات الواجب مراعاتها:

- مفهوم موضوع البحث:

نعني بموضوع البحث ما يقابله باللغة الفرنسية (Objet) والذي هو عبارة عن عنوان يترجم مجال الاهتمام الذي يريد الباحث البحث فيه.

اعتبارات في اختيار موضوع البحث:

يتعين على من هو بصدد إنجاز عمل أو بحث أكاديمي أن يختار موضوعا في **ميدان التخصص** الذي زاول فيه دراسته ليضيف إليه كذلك **عامل الرغبة** في العمل فيه، وهذا لكي يدفع للاهتمام به وحمله وتحمله طيلة فترة انجاز البحث، أي من الأفضل جدا أن يكون هذا الموضوع **يجلب اهتمام** من هو مقبل على القيام بالبحث الأكاديمي.

الطالب بصورة عامة حرّ في اختيار موضوع الموضوع الذي يتناسب **وميوله واختصاصه**. ولكن هذه **الحرية** في اختيار موضوع البحث يجب أن ترتبط **بقراءاته واهتماماته** الخاصة، **وقدرته** على التصدي الجاد لبحثه.

ومن الملاحظ للأسف الشديد، ندرة الطلاب الباحثين الذين لديهم اطلاع كاف، مسبقا، على موضوعهم المختار، وقد يظن الكثير منهم في البداية، بأن كل الموضوعات المتعلقة بمجال تخصصهم، قد عولجت معالجة كافية من قبل الآخرين، في حين، أن الحقيقة عكس ذلك. إذ أن هناك الكثير الكثير من الموضوعات الدقيقة المتعلقة بكل فرع من فروع المعرفة الإنسانية، لم تبحث إطلاقا، أو أن الأبحاث فيها قاصرة، وما زالت بحاجة إلى التقصي فيها والتعمق.

لذا يلجأ الطالب إلى الأستاذ المشرف، ملتمسا مساعدته وعونه على اختيار الموضوع أو تحديده، مما يدلل على **عدم اطلاعه** وعدم تعمقه في ميدان تخصصه العام. وهذا ما يؤدي بطبيعة الحال إلى **انعدام الحرية** لديه.

إن اختيار الموضوع من قبل الطالب مهمة شاقة، وهي تتطلب منه اطلاعا مسبقا ولو محدودا على مختلف جوانبه، تمكنه من وضع تصور أو مخطط تفصيلي أولي له، إضافة إلى ذكر **الدافع** لاختيار الموضوع أو **أسباب** هذا الاختيار، **والمصادروالمراجع** المعتمدة، **والنتائج المتوقعة** من البحث.

ليس كل موضوع مقترح من قبل الطالب يكون صالحا للبحث فيه. فقد يكون الموضوع المقترح قد تم معالجته على الصورة التي يقترحها الطالب، أو لا يستحق البحث والدراسة أصلا، لانعدام الفائدة منه أو لعدم أهميته، وقد يصلح أن يكون كتابا وليس بحثا أو رسالة.

-الموضوعات الواسعة والدقيقة:

الموضوعات العامة والواسعة التي تتضمن موضوعات أو مباحث فرعية عدة، من الموضوعات التي ينصح الطالب بتجنبها، لأنه مهما بلغت قدرته في معالجتها حتى ولو بلغت مرحلة الكمال حسب نظره، فستبقى معالجته قاصرة،وهكذا فإن الطالب الذي يختار، للوهلة الأولى، موضوعا عاما متوهما سهولته، لكثرة المصادر والمراجع

حوله...سرعان ما يضيع في كثرة هذه المصادر والمراجع ودوامتها وضرورة الاطلاع عليها، وسيجد نفسه **تائها** في خضم هذه الأفكار والآراء والنظريات المتعارضة حول موضوعه، ولن يجد من عقله، **المقدرة العلمية والقوة** التي تخوله التفاضل بينها، فضلا عن التفرد برأي مستقل متمايز عنها.

ما يظنه بعض الطلاب من صعوبة في بحث **الموضوعات المحددة الدقيقة**، هو في الحقيقة **توهم خاطئ**، لأن البحث في موضوع جزئي معين، لا يتطلب إلا الاطلاع على عدد، محدد من المصادر والمراجع، أقل بكثير مما يتطلبه الموضوع العام، وسيجد لديه **المتسع من الوقت** للتعمق في كل ما كتب حول موضوعه، وستكتشف له **حقائق جديدة** غابت عن أذهان الباحثين الذي يقرأ لهم في موضوعه، **وسيشعر بلذة غامرة** لا يعدلها لذة في اكتشافه هذا.

- هل توجد موضوعات جيدة وأخرى غير جيدة؟

" لا توجد مواضيع بحث جيدة وأخرى غير جيدة(ضعيفة) في المطلق أو في حد ذاتها، بحيث يتم الحكم على المواضيع انطلاقا من مقاييس عديدة منها: الباحث نفسه، هل البحث يهمه، هل هو متحمس له؟ هل لدى الباحث أشياء يقولها عن هذا البحث؟ هل هو مستعد لمواصلة هذا البحث خلال سنوات عديدة؟". ولهذا يمكننا القول إن كل المواضيع التي تعكس ظواهر اجتماعية (أو طبيعية في حالة العالم الطبيعي) قابلة للبحث وللدراسة وفق مسعى معرفي محدد المعالم. فعلى سبيل المثال هناك العديد من الموضوعات التي تخضع للتقصي السوسيولوجي حيث يرى جون كلود كوفمان: " كل المواضيع قابلة للدراسة، أي جانب من جوانب الحياة الاجتماعية، سواء أكان بسيطا، وليست له دلالة، غريبا، صوفيا أو مُسَيسا، يمكن أن يؤدي إلى التقصي السوسيولوجي، يمكن لموضوع يبدو غير جذابا أن يؤدي إلى بحث جيد..."

يضيف صاحب الكتاب(سبعون) يمكن أن نلخص مع **"ميشال بو"** المقاييس الأساسية التي يقوم عليها اختيار موضوع البحث الذي لا يخضع لاعتبارات البحث الجيد أو الرديء أو الضعيف، المهم هو ضمان جملة مقاييس تعمل على جعله قابلا للدراسة وجديرا بها، أي أننا "نضمن أن يأخذ اختيار موضوع البحث بعين الاعتبار المقاييس الآتية:

- أهمية الموضوع بالنسبة للباحث؛
- أهمية الموضوع من حيث أنه يصنع الحدث أو أنه موضوع الساعة؛
- إمكانية اجراء البحث أو قابلية إنجازه؛
- التطرق السابق للموضوع؛
- الأبعاد النظرية للموضوع؛
- توفر المعلومات بخصوصه؛
- نوفر إمكانيات البحث".

ومهما كان اختيارنا للموضوع الأكثر أهمية وفائدة، إلا أنه سيبقى من دون قيمة إذا لم تتوفر **شروط إنجازه**. عند اختيار أي موضوع إذا، لا بد من أخذ بعين الاعتبار قابلية إنجاز البحث. انطلاقا من ذلك لابد من التفكير فورا في بعض مقاييس التنفيذ بمجرد اختيارنا موضوع بحث ما، وهذه المقاييس هي: توفر الوقت، الموارد، الوصول إلى المعلومات، درجة التعقد، إجماع فرقة البحث، الخيال.

برأي صاحب الكتاب (مهدي فضل الله) أن الموضوع يجب أن يتم بالتشاور بين الباحث والمشرف. فإذا ما اقتنع الأستاذ **بأهمية الموضوع وجدته**، و**بمؤهلات** الطالب العلمية **وقدرته** على البحث، فإن عليه أن يوافق على خيار الطالب. وإذا لم يقتنع، فإن عليه أن يوجه الطالب نحو تعديل موضوعه على الصورة التي تنال موافقته؛ لأن الطالب هو أولا وأخيرا المسئول عن بحثه، وهو الذي سيبحث فيه، ولا يمكنه ذلك، إذا لم يكن **ميالا** إليه، **راغبا** فيه، مقبلا عليه بكليته، بروحه وعقله وجسمه.

لإيجاد موضوع للبحث، لابد، أولا وقبل كل شيء، من أخذ الوقت الكافي للتفكير في ذلك. هكذا نستطيع دراسة الاحتمالات المتنوعة. فالتفكير الكافي والعميق هو الطريقة الوحيدة لتجنب العودة إلى الوراء. ويقوم هذا التفكير على أساس الفائدة التي نريدها من هذا الموضوع.

مصادر اختيار موضوع البحث:

قد يحصل بأن تظهر بعض المواضيع عامة، من الوهلة الأولى، أنها عديمة الفائدة، ولكن بأخذ الوقت الكافي لفحص مختلف الجوانب التي تحملها، قد تكتشف موضوع ذو فائدة الذي كان من الممكن أن يمر هكذا دون أن نتفطن إليه لو لم نختبره بدقة. فالفائدة المتوخاة من دراسة موضوع ما، مهما كان نوع البحث، تمدنا بالدينامية والطاقة الضروريتين. **ويمكن إيقاظ** هذه الفائدة بمختلف **مصادر الإلهام:**

التجارب المعيشة: وقد تتصل بالعائلة، بالمدرسة، بالعمل، بمكان الإقامة، بالأشخاص الذي تربطنا بهم علاقات، أو بالأحداث التي عشناها، أو قد تكون بعض هذه العناصر مرتبطة فيما بينها.

الرغبة في أن يكون البحث مفيدا: تعتبر الرغبة في أن يكون البحث مفيدا مصدرا للإلهام، حينئذ يطمح الباحث إلى جعل بحثه مفيدا للآخرين. يتعلق الأمر بمنح الاهتمام بالوسط، بالهيئات، كما يتعلق أيضا بالتحري عن الاحتياجات الممكنة والنظر إن كان في إمكانها أن تصبح موضوع بحث (هيئة خدمات تريد معرفة زبائنها أكثر، منظمة تريد القيام بكيفية سيرها أو بلدية تريد فحص جزء من تاريخها...). إنّ موضوع البحث في مثل هذه الأمثلة يأتي مما يمكن تسميته **بالطلب الخارجي.**

ملاحظة المحيط: يمكن أن تكون ملاحظة المحيط مصدرا آخرا للإلهام. فالروح العلمية تتميز بملاحظتها للأشياء، خاصة عندما تأخذ الوقت للانتباه بدقة لما تشاهده يوميا بطريقة تلقائية. ومهما كانت النشاطات التي نشاهدها والأشخاص التي يمارسونها وكذلك انتظامها، وما لم يصرح به عنها. فإنها تثير رغبة من أجل معرفة أكثر لهذا المظهر أو ذاك من التصرفات الإنسانية.

تبادل الأفكار:

إن تبادل الأفكار مع الآخرين لا يقل أهمية عن الطرق الأخرى في العثور على موضوع البحث والتحكم فيه. يمكن للزملاء أن يوقظوا اهتمامنا بالحديث عن مواضيع التي لم ننتبه لها قبل ذلك. وبالعكس، يمكن أن نقدم لهم موضوعا، فسيكونون بمثابة دعم ثمين لنا، إما بدعم قناعاتنا، وإما بأن يبنوا لنا الصعوبات.

إن تبادل الأفكار حول مواضيع بحث يسمح بالتفتح على آفاق جديدة، ومعرفة رأي الآخرين حول هذه الاقتراحات والتوجه نحو موضوع يمكن أن نشترك فيه فيما بعد عندما يتم البحث في إطار الفرقة.

البحوث السابقة: إن البحوث السابقة هي مصادر إلهام لا غنى عنها بالنسبة إلى الباحث أو الباحثة. بالفعل، فإن كل بحث ما هو إلا امتداد للبحوث التي سبقته، لذلك لابد من استعراض الأدبيات، أي معرفة الأعمال التي أنجزت من قبل حول الموضوع الذي يشغل بالنا والتي كانت محل مختصرات بالنسبة لنا. فالأدبيات الموجودة حول موضوع ما، هي إذا طريقا للاستكشاف، وقراءة النصوص الملائمة تسمح للباحث بالإحاطة بالموضوع الخاص وضبطه بصورة جيدة...**هناك خمسة مصادر للمساءلة يمكن أن يستلهم منا:**

- موضوع لا توجد حوله إلا معارف محدودة أو لا توجد على الإطلاق؛
- منهجية استعملت أثناء بحث سابق واكتشفت فيها أخطاء كثيرة؛
- شك فيما يتعلق بإمكانية تعميم بعض النتائج على وضعيات وأفراد آخرين؛
- خلاصات متناقضة حول نفس الموضوع؛

نظرية أو جزء من النظرية أو نموذج مستخلص منها أو تأويل ظاهرة لم يتم إخضاعها للتحقق الامبريقي.